الحلم المبسط للشرق الاوسط الكبير

بقلم: M. A. Oraizi

ترجمة

شهد خالد العزاوي[*]

ان مشروع "الشرق الاوسط الكبير" الذي يضم اسيا الوسطى، بكل التوقعات، هو فكرة قديمة. لقد ظهرت هذه الفكرة لدى الاسلاميين الثوريين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذين كانوا يرغبون في اعادة بناء امبراطوريتهم المفقودة وتم استحداث الفكرة من قبل الاب المناهض للاستعمار جمال الدين اسد ابادي، او الافغاني، والذي ينحدر من اصول اسلامية ايرانية[١].

لقد ظهرت حركته السلفية، ومن ثم الاخوان المسلمين، وكان لها تاثير على اية الله الخميني، لانها ركزت على عوامل مشتركة: اللغة العربية، حتى وان كان العرب لا يشكلون وحدة انسانية متجانسة، والدين الاسلامي الذي ساهم في بناء الحضارة.

ان الخطوط الرئيسية للشرق الاوسط الكبير قد تم وضعها من قبل ادارة الرئيس بوش في شهر شباط ٢٠٠٣ في معهد. "The Amweican Intererprise". والذي جسد معنى اقليمي لغزو العراق: "ان عراقاً محرراً يمكن ان يبين كيف ان الحرية يمكن ان تغير هذه المنطقة التي تتمتع بأهمية كبرى. هناك مؤشرات مشجعة بالرغبة في الحرية في الشرق الاوسط.

ويتحدث قادة المنطقة عن ميثاق عربي جديد سيعزز الاصلاحات الداخلية، ومشاركة سياسية واسعة، وانفتاح اقتصادي وتبادل حر". انه يقترح الانفتاح الاقتصادي والتبادل الحر بمشاركة الاعضاء الثمانية المكونة للدول الصناعية الكبرى من خلال ثلاثة محاور هي:

التنمية السياسية (الديمقراطية) وتحقيق التحرر والعدالة للنساء والحق في الحصول على التعليم[٢]، ولقد وصفت مصر المشروع (بالضبابية) وذلك على لسان الرئيس حسني مبارك فيما عبرت المملكة العربية السعودية عن معارضته.

---

[*]باحثة في مركز الدراسات الفلسطينية ـجامعة بغداد

إشراك الحلفاء: في أي مشروع

بما ان الولايات المتحدة لا تستطيع ضمان هذا المشروع بمفردها، فقد تم توجيه الدعوة للاتحاد الاوروبي وحلف شمال الاطلسي بالمشاركة[٣]، فقد قدم خافيير سولانا وبكل لطف "مقاربة مختلفة" "تستكمل رؤية الولايات المتحدة الامريكية.." وقد عبرت روسيا عن تحفظها، لان الاتحاد الاوروبي سبق ان تدخل في المنطقة من اجل منع عبور النفط الاسيوي عبر روسيا وايران، فارضاً خط باكبر سهام عبر جورجيا. اما ايران فهي ضعيفة جداً من اجل ان تعبر عن ارادتها. ان الاهداف المعلنة للشرق الاوسط الكبير: الحرب ضد الارهاب، والديمقراطية وحقوق الانسان ومنع انتشار اسلحة الدمار الشامل ونشر القيم الثقافية الامريكية بشكل عام.

وفي الواقع انه مرتبط بالمصالح الاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية وبأمن اسرائيل بشكل خلص فقد تم تسجيل التحفظات الاوروبية في شهر حزيران الماضي واثناء قمة الحلف في اسطنبول: "الا اننا نجد ان العلاقات ما بين المسلمين كانت نزاعية او انفعالية دائماً فكيف تستطيع الولايات المتحدة الامريكية البروتستانتية والانكلوسكونية تحويل هذه المنطقة انموذجاً لتصوراتها بينما لم يستطيعوا فعل ذلك في امريكيا اللاتينية؟

ان بغداد او كابول لا تبدوا سوى مراكز قيادات امريكية والتي ستعمل على تسييس السكان المحليين المبهورين بالمبادئ الاسلامية التقدمية الوحدوية والمستقلة.

ان التغير الايجابي للمنطقة يعترض النمو المرتبط بتغير القيم الثقافية السياسية والاجتماعية وتنمية مؤطرة والتي ستسمح باستبدال النزاعات بين الدول الى التعاون الاقليمي الموجه، الا ان مخاطر الابقاء على النزاعات المحلية، وزيادة خطورة النزاع القيمي بين الشمال والجنوب وانفجار واعادة بناء الدول لا يزال قائماً.

ان المشهد الاول يمكن ان يكون مدعوماً من قبل اقتصاد الدول المتطورة وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية مع اسرائيل كطوف اقليمي وكذلك مع تحقيق انتاجية متزايدة والانخراط في اسواق الشمال. الا ان المخاطر تبقى موجودة وتكمن في مواجهة المتطرفين الاسلاميين وطموحات الروس والصينيين، والفوضى والمقاومة المحلية. كيف يمكن ان يوحد الشرق الاوسط الكبير وعلى الطريقة الامريكية الماضي السياسي المعقد للدول التي تشكل هذه المنطقة الشاسعة مع ترك عدة اسئلة بدون اجابة:

ما هو مصير الدولة الفلسطينية؟ وما هي الحلول للمسالة الكردية" وماذا عن الاوضاع البترولية للمنطقة؟ وهل ان الدول الاسلامية نفسها مستعدة لدمج الديمقراطية في نظمها السياسية والاجتماعية؟ واين هي الاعتمادات المالية الضرورية؟

ان تحقيق الشرق الاوسط الكبير يتطلب ارساء سلام دائم وعادل بين شعوب المنطقة، وتعصف بهذه الدول عدم المساواة والتي تتحكم انظمة طفيلية في عوائدها النفطية. انها لا تكفي لمواجهة الفقر. وتتراكم في المدن الكبرى الفقيرة مدن الصفيح وتزداد فيها المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. ويتطلب الشرق الاوسط الكبير تفسيراً كاملاً للظروف السياسية والحرب ضد الفساد ونظام جبائي قادر على ضمان سير الادارات وألة قانونية قوية، وانتقال التكنولوجيا والاجراءات العقلانية لتبادل الثقة والحد من التدخل في الشؤون الداخلية لبعض الدول وسلام عادل ومنصف بين اسرائيل والدول العربية مع الدول الفلسطينية الاصلاحات التي لا يمكن تجاوزها.

وعلى الرغم من ذلك، فان الشرق الاوسط، كبيرا كان ام صغيراً، هو منطقة مهمة يجب دراستها في الوقت نفسه، ان حصول الغرب على التموين من المواد الاولية "النفط، الغاز، اليورانيوم، والفسفور، والنحاس...الخ" يشكل سوقاً كبيراً من ٥٤٠ مليون مستهلك متلهفين للعمل وللموارد وللهجرة. وانه كذلك ممر استراتيجي بين اوروبا والصين مع طريق الحرير الهائلة (الاتصالات وانابيب النفط).. انه محور نقدي ومالي ستكون الولايات المتحدة جزءاً منه باعتبارها عضواً في منظمة الاوبك من خلال الدور العراقي.

- انه رهان ديني في مواجهة مخاطر الاصولية السياسية.
- ان حل المسألة الاسرائيلية الفلسطينية التي تسمم العلاقات بين العالم الاسلامي مع اسرائيل.
- ان الولايات المتحدة لا تبحث الا عن سيادة ثابتة من خلال اخضاع المنطقة.

لكن لا يبدو الاوروبيين انهم قادرين على تقديم اجابة اخرى او رؤية اخرى. انهم وبكل تأكيد يستطيعون امتصاص النوايا العنيفة والمفرطة لحلفاؤهم في واشنطن. الا انهم متحيرون في طرح رؤية بديلة بعيدة عن دعمهم المخجل والحذر للانظمة القمعية.

الهوامش

(1)Edward G. Browne, "The Persiam Revolution of 1905-1909 Cambridge, 1910.
(2)Z. Brzezinsti, "Bush's Greater Middle Eeast Initiative How not to spread Democracy". Herald Tribbune, March, 2004.
(3)"L'Europe, ks Etats-Unis et be GMO", fivers auteirs, lemoude Retour an Sommaire

المصدر

le debat strategiqve N75-Jnillet 2004.